

النتائج الجديدة



المسئلة التي لا تمر بالمشكلات
مر الكرام ، وانما تقف عند
كل واحدة منها ، تسألها ،
وتنقب فيها وتكون عنها
في نهاية الامر فكرة ورأياً

واضحاً . إنها تطرح مشكلات تبدو بديهيات ، وتعالج اموراً
تبدو مكرورة معادة ؛ وفي هذا تنوي قوتها : أو ليس الفرق
بين النظرة العامية والنظرة العلمية ان النظرة العامية تعتبر كل
شيء طبيعياً وبديهيّاً لا يحتاج الى بحث ، فلا يخاطر على بالها ان
تجعل من سقوط الاجسام مشكلةً ومجالاً لبحث ، ومن طفوها
مشكلة ، ومن الحركة مشكلة ومن الزمان مشكلة و... على
حين ان النظرة العلمية تتساءل عن كل شيء ولا تعتبر ان هناك
شيئاً لا يحتاج الى التفسير والايضاح . ولولا هذه الروح العلمية
التي ترى المشكلات حيث لا يرى العامي شيئاً ، لما اتيح لنا
مثلاً ان نرى أبحاثاً في « الاحلام » كما فعل « فرويد » او في
« زلات القلم واللسان » ، ولاعتبرنا الحلم حملاً وكفى ، وزلة
اللسان زلة لا اكثر ، والماء ماء والهواء هواء .

والحق ان هذه المشكلات التي يتعرض لها الكتاب ، اعني
مشكلات الحياة العربية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما
يتبعها من فروع ، مشكلات تتصف بطابع متناقض في ظاهرها :
فهي معادة مزجاة ، وهي بكر لم تعالج هي معادة مزجاة إن
اعتبرنا تلك الاحداث التافهة حيناً ، والمنحرفة حيناً آخر ،
والمبتورة حيناً ثالثاً ، التي يفوه بها بعض السياسيين والخطباء
والدعاة ، معالجة لمثل هذه المشكلات .. وهي بكر مجهولة الى
حدم كبير ، ان نظرنا الى الأمر نظرة اعتم ، وعيننا بالمعالجة
بالمعالجة العلمية الواضحة . واخطر المشكلات وأشدّها حاجة
للمعالجة العلمية في الواقع ، هي مثل هذه المشكلات التي تبدو
لبعضهم في غنى عن ان تعالج ، وتبدو لبعضهم الآخر مضغة في
الافواه لا يحتاج الحديث عنها الى فضل علم او زاد من بحث .
ذلك انها لشدة معرفتها مجهولة ولكثرة ذبوعها سهمة . واخوف
ما يخاف ان تشيع معالجة لمذه المشكلات ليست بالمعالجة المنهجية
العلمية ، فتسير بين الركبان وتلقفها الألسن ، وتأخذ الأفكار
قالبها واتجاهها ، فاذا ما تتصف بهذه المعالجة من حطل وانحراف
يصبح لاشتهاره ، مقبولاً بل بديهيّاً لا يحتاج الى نقاش ، وإذا
بالعقول تألف مجموعة من الافكار الخاطئة حول هذه المشكلات ،

لا شك ان كثيرين مثلنا كانوا ينتظرون منذ زمن بعيد
ظهور كتاب ككتاب « معالم الحياة العربية الجديدة » ، الذي
ظهر منذ شهر ونيف ونال الجائزة الأولى في مسابقة جامعة
الدول العربية عن مشاكل العالم العربي السياسية والاقتصادية
والاجتماعية لعام ١٩٥٣ . فهو لون مشرق من ألوان الفكر
الذي يتعرض لحياتنا القومية ، والذي طالما تقنا الى رؤية ثماره
وطالما عجبنا لاحتجابه وكمونه في آونة كل ما فيها ينضح بالحاجة
الى مثل هذا الفكر القومي ويحن الى رشف نداءه ، بعد جذب
مري .

وكثيراً ما أتبع لنا ان نعبر عن هذه الحقيقة وهي ان
حياتنا القومية لن ترسخ جذورها ولن نظمّن الى مصيرها ما لم
نجد صداها في ادبنا وفلسفتنا وفننا وجميع مجالي إنتاجنا ، وان
في حياتنا القومية الحديثة اليوم ما هو قين بان يبرز الأقلام
ومجرك العبارات ويلهم الأفكار . والعجيب كل العجيب ما هو
ان يظهر كتاب كالكتاب الذين نحن بصدد الحديث عنه ، بل
ألا تظهر مئات من الكتب مثله تعالج ما يعالج وتصدر عن
مثل ما يصدر عنه من سهر قومي وحرقة فكرية ! ولاي غاية
تحيا الاقلام إن لم تقبس من قلب الحياة ، حياة الامة ، مدادها
ورحفتها ؟ وما عسى ان يلهب النفوس إن كانت تمرّ بمأس
اجتماعية تواجهها كل يوم مرور العابر السامر ؟ إن هنالك معايير
كثيرة دون شك نستطيع ان نسبر بها حساسية النفوس وحظها
من التأثر ونصيبها من الغنى الروحي . ولكن لعل احسن مسبار
هو هذا المسبار الذي نتعرف به على غزارة النفوس وقدرتها
على التحسس عن طريق ما تثيره لديها حياتها الاجتماعية من
مشكلات وما تخلفه من تساؤلات ورغائب . وإنك لتعرف
حيوية الامة من تلك الثورات المشبوبة التي تعج بها نفوس ابنائها
حين تواجه حياتها القومية ، كما تعرف نضوبها ووهنها من تلك
النظرات المقرورة السادرة التي يلقون بها اوضاع مجتمعهم
ومآسي شعبهم .
والكتاب الذي نحن بصده يمتاز اول ما يمتاز بهذه الروح

فتعشش فيها وتفرّخ ، حتى يستعصي على المصلح اقتلاعها . ولا عجب فنفس الجماهير في حاجة دوماً الى حلول لمثل هذه المشكلات ، فان لم نجد من يقدم لها الحلول الصحيحة ، نقت الخاطيء ورضيت بدوبنت على اساسه تفكيرها ورببت على قيئه ، وهكذا لا يلبث ان يغدو فكرها، الذي يفترض فيه ان يصحح الخطأ ، هو الخطأ نفسه ؛ كمثل الطفل يتساءل عن بعض الامور ، ولكن كثيراً من الآباء يقدمون له اجوبة خاطئة ، يقبلها لأنه في حاجة إلى جواب ، وكثيراً ما نسيء مثل هذه الاجوبة الى تكوينه الفكري وتخلق لديه أنماطاً من السلوك العقلي تظل تعمل كطيفليات في تفكيره عامة .

ولا ادل على ما نقول من ان كثيراً من الامور التي يقرها الكتاب ويدافع عنها ، والتي هي من الحقائق النهائية في الفكر العالمي ، من مثل حرية الافراد وحرية العمل الحزبي وضرورته والحياة النيابية وضرورتها ، هي في نظر بعض ابناء مجتمعنا العربي ، بل بعض المثقفين من هؤلاء ، مسائل تحتل الجدل والنقاش ؛ ذلك ان بعض النزعات المغرضة وبعض الافكار الواهنة ما طفتت تبث ، منذ عهد ، مثل هذه الشكوك في مثل هذه القيم النهائية ، حتى ربت بعض العقول مثل هذه التربية وجعلتها تجادل فيما لا يحتمل الجدل . وإن نس فلن ننسى « فضائل » الاستعمار بهذا الصدد وما دسه من سموم حاولت التشكيك في مثل هذه المبادئ البديهية في الحياة القومية .

إن الكتاب ينطلق من نقطة ارتكاز اساسية وهي اعتبار تفتيح إمكانيات الفرد العربي الاساسي الذي ينبغي ان توجه إليه في حياتنا القومية . ومثل هذا التفتيح يستتبع حظاً من الحرية ، لا يتنافى طبعاً مع غايات المجتمع الكبرى ، وتنظيماً اقتصادياً استراتيجياً يفسح المجال امام كل فرد ويتيح له أن يعبر عن إمكانياته ويحقق استعداداته ، وحياة نيابية صحيحة لا زائفة مبنية على تنظيم حزبي صحيح مستند الى مبادئ واضحة . وكل هذه الحقائق بديهية وغير بديهية . بديهية في عرف الفكر العالمي ، وبديهية حين نناقشها مناقشة عقلية حرة غير متأثرة بهوى او نزعة . غير انها غير بديهية حين تعاشها الفواشي وتقع عليها الرواسب المختلفة ، مثيرة حولها الشبهات . ولا ننكر ان في واقع البلاد العربية ما قوى مثل هذه الشكوك المغرضة في مثل هذه القيم الجوهرية : فإساءة فهم الحرية وتعريفها ، وإساءة فهم الحياة النيابية وإساءة تطبيقها ، واستثمار المبادئ الاشتراكية استثماراً

زائفاً ، كل تلك امور خلقت الشك في نفوس بعض الناس وساعدت على نمو تلك البذور الفاسدة التي اطلقتها بعض اصحاب الاغراض وحاولوا عن طريقها تهديم مبادئ في الحياة القومية والسياسية لم يعد التاريخ في حاجة الى إثبات اصالتها . لذا كان على الكتاب ان يعود الى هذه الافكار من جديد وان يبين ، عن طريق بحث علمي متزن متمد ، ان إساءة تطبيق المبدأ لا تعني فساده من اصله ، وان استثماره حجة له لا عليه . وخير ما يدعم به حجته علاجه لهذه المشكلات ضمن السياق الحي للحياة العربية جملة ، لا علاجاً مختزلاً منفصلاً كمشكلات فكرية مستقلة مجردة . إذ يبين كيف ان الحاجة إلى مثل هذه المبادئ ، عدا انبثاقها من مقولات الفكر العامة ، تنبثق من قلب حياتنا ومن صميم آفاتنا الحالية وما نشكو منه وكيف ان المسؤول الأول عن آفاتنا هو فقدان هذه المبادئ الاصلية ، مبادئ الحقوق السياسية والحريات الفردية . ففي إهمالها يكمن الذاء وفيها الدواء . وبعد ، ليس قصدنا في هذه الكلمة ان نظري الاسلوب العلمي الواقعي الذي اتجهه الكتاب ، وان نبين مواطن القوة والكثيرة فيه . بل قصدنا ان نظري هذه الومضة من ومضات الفكر العربي ، وإن نستشير الاقلام لومضات مثلها وبروق .

دمشق عبد الله عبد الدائم



الدستور والديموقراطية

للدكتور صبحي المحمصاني

دار العلم لللايين ، بيروت ، ٢٥٣ ص

يتناول هذا الكتاب ، كما يقول مؤلفه على الغلاف : « مبادئ القانون الاساسي والعلم السياسي وتطبيقها على لبنان وسائر البلاد العربية » .

وبما ان عرض مواد هذا الكتاب بما فيها من تشعب يخرج عن نطاق المجلات فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بالآراء التوجيهية التي فيه مع الاشارة أحياناً إلى رؤوس الموضوعات .

يرى الدكتور محمصاني في مطلع مقدمته ان « القانون (ما يجب ان تسير عليه الدولة) والواقع (ما تسير عليه الدولة فعلاً) شيئان يترادفان مرة ويتفارقان مراراً » . واتفاق الواقع مع القانون دليل على رقي الشعوب واختلافها دليل على تأخر

الشعوب . أما البلاد العربية فهي لا تزال في عهد طفولتها السياسية ، ولذلك كان الواقع يختلف فيها من القانون . وبعد المقدمة يتكلم المؤلف على القانون ومعناه وتعريفه وأقسامه ، ثم على الأمة والدولة والحكومة والشعب وما بينها من أوجه تباين وتقارب ، ثم على مقومات الدولة وسيادتها وما يستتبع ذلك ، ثم على أشكال الدولة التي عرفت في تاريخ الانسان . ولقد أحسن الدكتور محصاني في نقد نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو (ص ١٧-١٨) ، وهي ان قيام الدولة إنما هو تعاقد بين الحاكم والمحكوم ، ذلك لأن هذه النظرية صناعية جداً حتى انها لتدخل في نطاق الخرافة (ص ١٨) لاستحالة اتصالها بالواقع . ثم انه فضل عليها نظرية ابن خلدون في « الضرورة الاجتماعية » ، وهي ان الانسان كان يعيش دائماً في نطاق شكل ما من اشكال الحكم ، لأن الانسان مدني بالطبع [كما يقول ارسطو] .

ولقد أحب الدكتور صبحي المحصاني ، وهو يضرب الأمثلة في ثنايا كتابه من واقع العالم العربي ، أن يكون مسلماً ، فسمى أشكال الحكم في البلاد العربية المختلفة بالاسماء التي أطلقت عليها عرفاً لا بحقيقة الحكم الذي يسود فيها ، ثم بحث فيها على هذا الأساس . ولقد كان يحسن صنفاً في التوجيه الوطني لو انه فسح مجالاً في صدر كتابه لعرض رأي ارسطو وتقديم الشواهد عليه من ان الدولة يجب ان تسمى بطريقة الحكم فيها لا بالاسم الذي يطلقه عليها صاحبها . ولذلك يستوعي انتباهنا قوله (ص ٢٩) : « من ميزات الجمهورية انها تؤمن بتحديد (بالحاء المهملة) مدة رئاسة الدولة حتى ان بعض الدساتير منعت تجديد (بالجم) المدة كما في لبنان » . فلبنان آمن بالتجديد وجدد مدة رئسته مرتين . وعلى هذا لم يكن لبنان جمهورياً قط وتسميتنا لبنان جمهورية ترجع في الحقيقة الى الاسم الذي يطلق على الحكم فيه لا على حقيقة الحكم فيه . ولعل الذي منع المؤلف من ذكر هذه الملاحظة ان كتابه صدر في اوائل عام ١٩٥٢ .

بعدئذ يتناول المؤلف تاريخ الدساتير في الغرب وفي البلاد العربية (ص ٤١ - ٦٨) . وهنا اعود مرة ثانية الى المناقشة لأذكر ان الملكية ليست من الاسلام ، فكيف يمكن ان نقول مثلاً ان المملكة الفلانية دستورها هو الشريعة الإسلامية؟ نحن نستطيع ان نقول ان « ملكها ملك صالح » . اما الوراثة

في الملك - مع انها وقعت في معظم ادوار تاريخ المسلمين - فانها تعارض مع المبدأ الاسلامي الاصيل . غير ان المؤلف يصور واقع العالم العربي ولا يصدر احكاماً على اشكال الحكم فيه .

فاذا جاز المؤلف الكلام على واقع العالم العربي الى الكلام على ماهية الدستور واشكاله وعلى نشوء الدساتير وعلى تعديل الدستور والغائه وعلى دستورية القوانين تحجور من اللباقات المفروضة وعرض امامنا موجزاً علمياً عاقلاً ناضجاً لذلك المظهر الراقي في الدولة : « الدستور » . ثم ينتقل المؤلف الى الفصل الخامس من كتابه ليتكلم على حقوق الانسان الاساسية (الحرية الشخصية وحرية الفكر والمساواة امام القانون وحرية العمل) . ويستمر الكتاب في البحث العلمي الناضج فيتكلم على سلطات الدولة المختلفة ، ثم على علاقة السلطة التشريعية بالسلطة التنفيذية خاصة .

وينتهي الكتاب بخاتمة تجمل انتقادات المؤلف على الدولة اللبنانية بعد ان حاول في جميع الكتاب ان يمس دول العالم العربي مساً رقيقاً . وهاك بعض ما قاله في « الخاتمة » (ص ٢٣٩ - ٢٤١) : « ان النظام الدستوري اللبناني نظام جمهوري نيابي ديمقراطي برلماني . وان الحكم على هذا الدستور كالحكم على غيره من امثاله يتوقف على معرفة الاسلوب الذي يسير عليه في الواقع ... وينبغي للبنان ان يواجه مشاكه الاجتماعية والسياسية الخاصة .

... ومن أهم هذه العلل والمشاكل الأساليب الاقطاعية والتجزبات الطائفية فالتمثيل النيابي في لبنان تمثيل مبني في كثير من الأحيان على المصالح الاقطاعية والطائفية وعلى النزعات المحلية والشخصية . وان هذه المصالح والنزعات متغلغلة في مسائل الانتخاب والمناصب العامة وغير ذلك من النواحي الحيوية . ولقد رأينا ان الدستور اللبناني من الدساتير الجامدة وأنه صنع اساساً في ايام الانتداب ، وهو وان تعدل في عهد الاستقلال ، الا انه كالثوب البالي لم يعد ينفعه الترقيع بل يعوزه التغيير من الاساس . »

★

إن كتاب « الدستور والديموقراطية » كتاب مهم مفيد . إنه للقارئ العام وللطالب والكثيرين ممن يعملون في الحياة العامة . ثم هو مرجع قريب ودليل أمين للباحث في هذا

الموضوع الذي يحتاج العرب الى التوسع فيه . ان شكل الحكم في البلاد العربية يحتاج إلى اصلاح ، والاصلاح يحتاج إلى العلم ، والعلم يؤخذ عن رجاله . فجبذا أن يولي العرب امثال هذا الموضوع الحيوي شيئاً من اهتمامهم .

عمرو فروخ



آلام

ملحمة شعرية للاستاذ نديم محمد

مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر ، دمشق ، ٢١٦ ص

عندما تجلس إلى الشاعر الاستاذ نديم محمد صاحب ملحمة « آلام » هذه، يستولي عليك اعجاب باهر بادبه العميق، وظرفه الناعم، وفهمه المحيط بقضايا المجتمع وعوائقه، وفنون الأدب ومشاكله. وأدب الاستاذ نديم ليس من ذلك الادب الموبوء بـ « مكروبات » التبجح والادعاء في شيء. وإنما هو أدب حياة خالدة حرة يفريك بالكد والجد والمثابرة، لتفكر وتجتهد وتعمل، لا لتحلم وتمنى. موهماً على نفسك - وعلى الواقع - أن اعذب الشعر اكذبه، وان الفنون جنون ..

وذكاء نديم الحاد هذا، وثقافته الممتازة، وانخراطه عقائدياً في صفوف الشعب المتألم، المرهق، المغلوب على امره وجهاده الرائع في دنيا الوطنية، ونفسه الكبيرة في غير صلف، واحساسه المرهف، هذه المثل الفاضلة شمخت بشاعرنا، عن حضيض «المادة المدنسة» على عوزه وإملاقه! فلم تستهوه بهارج الحكم، ولم تستول على لبه الوظيفة والمنصب، وإنما أساح بوجهه عن هذه الزوائف كلها غير مكترث ولا يمتنون ..

ويأتي دور المرأة بحياة شاعرنا نديم - والشاعر بحكم إحساسه وشعوره شهواني إلى حد ما - فأثر المرأة بحياة الشاعر على أحد من الغرابة والتهاويل. فقد أمضى الشاعر فترة من اجمل فترات شبابه في باريس، فاضطرب عليه أفق الجنس. كان في القرية والمرأة زوج وفيه، وأخت صالحة، وأم رؤوف لا أكثر ولا أقل، فاذا بالشاعر الشاب يتعرف عليها في باريس بما ينقض لونها الفروي في بلاده الاولى. ووقع الشاعر على هذا «التقيض» ووقع من لا يرتوي ولا يشبع، فلما عاد الى القرية بعد سنوات

قضاها في باريس التي كانت حياتها تمكنت من نفسه وتغلغلت في اعماقه برغبة من الشاعر وتقبل وإذعان، اضطرب أكثر فأكثر وتألم شديداً. إن المرأة ليست كما هي في القرية فحسب زوج وفيه، وأخت صالحة، وأم رؤوم، وإنما هي اضاميم الحب والملاذ كما هي في باريس، ولكن هل يستطيع الشاعر على شيء من التبديل في هذا الواقع المؤلم في دنيا الزمان والمكان على السواء!؟ ..

ثم تأتي السياسة، وتأتي معها الصدمات والحياة: فالاستاذ نديم في السياسة - كمنجون ليلي - في العشاق، نجسر المال والعافية، وغيره ينال ما يشتهي منها - على البارد - كما تقول العامة - بغير جنون ولا فنون ولا خسارة ..

وعلى كل الوجوه فالشاعر في زحمة من هذه « الغرائب » القاسية، وهذه - الغرائب الطبيعية - هي نواه ملحمة الشعرية « آلام » وهي التي أوحى بها، وعلى أجوائها ترف هذه الملحمة، إنها زجرجة الحبيس وراء عقدها، والرغبة الصادقة لتفسير معانيها.

★

والشاعر نديم مجدد بالشعر، ولكن على طريقة « قومية ». إنه يريد التجديد، ويجبذه، ويعمل له باخلاص، وإنما هو يفهم هذا التجديد ويعمل له، بمحدود الموضوع، والفكرة، والعمق، والموسيقى - راجع مقدمة الملحمة - لا ببهللة اللفظ، وتشويه المعنى. يريد قومياً عن طريق نهضة عربية شاملة تنتظم الشعب العربي بأسره لما فيه خيره ونعيمه، لا قومياً (!) عن طريق امتداح الحاكمين، ومهادنة الخونة والرجعيين، وانه ليريد الشعر انسانياً، بشمول اللفظ على النوع الانساني كله، لا إنسانياً سياسياً مجوم ولا يغط إلا على مضلحته ولو على رقاب العباد، ودماء الضعفاء والمغلوبين! ..

في هذا الاطار البديع، وعلى هذا الاساس المثلين، وبتلك الاجواء المضطربة القلقة، على رغائب القلب المتعطش الهائم، وحنون الثورة العاطفية المتقدمة في الجسد السقيم العليل، من هذه الكوى أطل علينا الشاعر الصادق بملحمته « آلام ». ولنسمعه وهو يتهمك ويسخر من شعراء التسول والملق الراكعين على الأبواب:

ورأيت البديي بيت اناشيدي غضوباً مزجر القسما
مل شعر الزلفى - الى الحكم - واشتاق الى الفحل من قصيد الالباب
ليس كالعار من مقالك للهر : سلاماً ياسيد الغابات!

يشفق العار ان تسميه بالمجد ! لثقل الاعباء والتبعات
وكيف لا يكون ذلك كذلك ، وبيت الخلود والاشعاع
! يتسع لغير الشعراء الصادقين المصلحين :

لم يظاً سابع بفارسه النجم ، إذا لم يطر على عصماء !
وغذاء الفحولة الشوك والنار ، وتسقى بأدمع ودماء !
ويمضي بك الشاعر المبدع في زوايا المجتمع وخباياه ، ودليله
نظرة الصائبة ، والفكرة الصادقة ، لا يترك مظهراً إلا وفسر
ك حقيقته ، ولا مر بمنظر إلا واطلمك على مكنونه : الحاكم
بحون ولا يعدل ، والمرابي يستنزف دماء اليتامى والمساكين ،
المغامر الأفاق يعبت بمقدرات الاوطان ، ويدوس كرامة
لمواطني ، نقائص سود ، ونقائص حمر ، تنكس راية الاخلاق
ترفس صدر الحياة الشريفة ، فيضيق الشاعر النبيل بهذه الشرور
الآثام ، فينزع الى مخبأ يحجبها عن ناظريه .. فاذا هو بالحجارة
نادي :

انا صاح .. إلى بالجر ياساقي ، فعمرى وهبته للخمور !
إسقتني : أو ترى سحائب انفاسي من السكر مثل لفتح السعير
إسقتني : أو يموت رأس على زندي ، وزدني عسى يموت شعوري
خمرة الحب ، والصبي والاماني والاغاريد والهوى والحبور
وأدع لي قينة ! وقتية لهو ليردوا إليّ عهد فجوري
فيثور الخنا ! ويجرف آلامي ويدوي كالعاصفات هديري
وهنا .. وبعد ان تحسب ان الشاعر وجد مصبه ، لا تراه
لا وقد انتفض وزجر وصاح :

الهوى ذكره رجوع الى الدمع ، رجوع الى العذاب المرير
ومعنى هذا ان الجر بدأت تفقد مفعولها في نفس الشاعر ،
لمست شيئاً مذكوراً ، فقم يا نديم ومر الحادم بلهجة الحكيم
فأشك لي فعل ما به انبساط الألم :

حطم الكأس يا غلام .. فلن تغني عن الحب سكرة السكير !
ويلى عليه ! لقد ترك الحماره ورجع الى منزله ، ولكن
ووارض الداء الوبيل اخذت تمتص قواه وتهد جسمه . انه في
راش المرض القاتل ميت أو كالميت ، تقلبه أمه بين يديها
ات اليبين وذات الشمال ، وهو في هذيانه الاخير يغمغم :

أمي : هاتي يديك .. ادنيهما مني .. دعني راحتك في راحتيا
أمي : لا تبعدي يطف شبح الموت .. وينقض في الظلام عليا
أمي : إني اموت .. يا أم عليّيني دوائى .. فرجما عدت حيا ..

ويعود حياً او كالحى .. ولكن لا ليريح ويستريح ،
ولكن ليضطرب ويقلق ويشور ، ويحلو له هذه المرة ان يطير
الى السماء ، كما فعل « دانتي » و « المعري » من قبل ، ويتصفح
« دليل الرحلة » القرآن الكريم ، كما فعل الشاعران السابقان ،
وما هو حتى يطير فيبلغ الجنة ويقف بارجلها يراقب ويتبصر !
فما هذه الجنة ؟ وما هي حياة الابرار فيها ؟ انها اللهو والعبث :
وصال آلي لا حياة فيه ، ونعيم مستوم على التكرار ، وصهباء
لا تسكر ولا تصحي تحتسيها الدمى المتحركة ! وغناء لا يطرب
لانه لا يحزن ! وحياة هي الجنون الذي لا يفهم ولا يفهم ، ثم
ماذا رأى في جهنم ؟ حيات ، وثعابين كل واحدة منها بعرض
السموات ، وشياطين في رؤوس من اللهب ، واظافر من
الشوك ، وزنيم الى جانب رجيم ، ومحافر ومهاوي من النار
والنار تتخبط بها الاجسام والارواح وتذوب في لفحاتها بغير
نهاية ! انه لشيء رهيب مرعب ! فليترك هذا العالم وليعد الى
عالمه . وهكذا ترك السماء وعاد الى عالمه منبوذاً ، تلاحقه
الطيوف الهازئة ! واخذ يفكر بسر شقائه وعذابه ، وما هو
حتى رأى السر ! انه في هذا الوجود الجبوري .. الذي حملنا اليه
مكرهين :

هدمتني الحياة .. اي فضول ! في يد الله .. آثم الانشاء !
في هوان العزيز عار على الخلق ، وعار على بديع السماء !
وهنا يحلو له ان يستمرى طعم « الحب ! » ويفرق ايامه
ولياليه في اعماق لججه ، فيحبو الى مقصورة حواء .. وهو من
الضعف بحيث يقول :

لا يحس التراب خطوي عليه ! فكأنني اسير خلف التراب !
ويقف على بابها يفلسف الحب مستغوياً :

ازت مني . من قبل آدم والناس ! وقبل الانشاء والتكوين !
نحن شطرا نفس تقاذفنا البعد .. فتها .. ما بين : ماء وطين !
وكان هذه الفلسفة لم ترق لحوائه ، فلم تجبه بكلمة تسعد
البال ، وهنا يزجر الشاعر مشككاً بانوثتها ، ووجودها ايضاً
فيصرخ :

لست انثى ولست شيئاً من الناس .. ولكن وهم سرى في العتول !
ان لي ناظراً يرى السر في النفس ، وقلباً يحس خلج الميول !
وتضحك حواء من هذا الكلام الفارغ ، وتهز الكتفين

باستهزاء من هذا العاشق المتكبر الجاف! وما هو حتى ينقلب
الشاعر على نفسه ساخراً منها مستعظفاً حواءه:

أشوخ، وفي الوحول جببتي؟ وفخار، والعار ملء. ثيابي؟
راودتني عشيرتي سدة الشمس، وراودتها هوان التراب!
لو بغير الهوى يطاولني الدهر لاركزت في النجوم قبائي!
والهوى فتنة فلا يكتر الناس عتايي وما لهم وعتايي!
وهنا تحيي حواء الشاعر بقهقهة يلع لها الشاعر فيثور
مندداً:

بسمه الرحمة الحقيرة.. لا كنت! وأهلاً بقهقهات العداء!
أنا ألبستك الخلود، واسكنتك دار النعيم يا حوائي!
ويمد يده اليها، فيجملها بين ذراعيه، ويطير بها في عوالم
جديدة.. لم يعرفها قبله انس ولا جان!

محمود نوره

طرطوس



على دروب الحياة

مجموعة اقصيص للاستاذ رشاد دارغوث

منشورات دارغوث اخوان، بيروت - ١٦٠ ص

نضم هذه المجموعة ثلاث عشرة اقصيص قد يخرج قارئها منها
بعض تسلية عابرة، ولكنه لن يحتفظ منها بأي اهتزاز شعوري
عميق، او بأية إثارة فكرية خلاقة، او بأية متعة فنية رفيعة.
والحق انها اقصيص سطحية المعنى إجمالاً، هزيلة الحبكة
القصصية، باهتة التأليف الفني.

فاما المعنى السطحي فتتكشف عنه هذه الاقصيص التي لا
تأتي بفكرة جديدة طريقة ولا تنفذ الى معنى عميق. فأقصيص
«حل معقول» مثلاً كتبت للتدليل على ان المرأة تستطيع بتدخلها
ان تحل اموراً طال تعقدها، واقصيص «وراء كل خير» تريد
ان تثبت ان المرأة تستطيع ان تكون رسول خير اذا نجحت
في اقناع خطيبها بالآسافر الى المهجر طلباً للرزق، وان يظل
في بلده يشتغل ارضه، ويروي بطل اقصيص «فينوس في مزرعة»
لقاءه بفتاة اجنبية اقبلت تزور لبنان، فصرح لها قبل عودتها الى
بلادها انه احبها ولكن دون حبه للأرض، و«من احلام شهرزاد»
تحوي دعوة الى جمع المال الذي يهدر في اطلاق الرصاص

والمفرقات في الاعياد لبناء مستشفى، و«ابن الشارع» تدعو
الى ايواء ابناء الشوارع في «حدائق عامة».. واقصيص «اخوة
حناجر» لا ترمي الى اكثر من الاشارة الى ان التحاسد قائم في
مجتمعنا، واننا رجال اقوال لا افعال.

ثم إن الحكمة القصصية في جميع هذه الاقصيص المجتررة
المعاني السطحية هزيلة جداً، بمعنى ان الحادثة التي تنسج حولها
القصة لا تثير اهتمام القارئ او شوقه، ولا تتم عن ابداع في
الخيال او قوة في الخلق. فحبكة «حل معقول» مثلاً تدور
حول شجرة كبيرة احتضنتها جمعية حملت اسمها، ولكن وجود
هذه الشجرة في احد الشوارع ازعج سائقي السيارات، فجنّدوا
جهودهم لاقتلاعها، وتفاقم النزاع بين جمعية الشجرة ونقابة السائقين
الى ان تدخلت امرأة، فحلت القضية باقتلاع الشجرة.. وإن
القارئ ليشعر بالملل اذ يقرأ هذه الاقصيص ولا تشوقه متابعتها
لبلادة الحادثة فيها. ومثل ذلك القول في اقصيص «مذكرات
خروف» من حيث الحكمة، وان كانت خيراً من السابقة من
حيث تصويرها لبعض الآفات الاجتماعية في البلاد تصويراً رمزياً.

وفي سائر الاقصيص المذكورة تنعدم الحادثة تماماً ليحل
محلها حوار بين الراوي وشخص آخر ينتهي الى تقرير واقع،
كما هو الحال في «اخوة حنانجر» و«من احلام شهرزاد» و«ابن
الشارع». ولو ان في هذه الاقصيص تحليلاً نفسياً او تصويراً
دقيقاً لكان بالامكان غض الطرف عن ضعف الحكمة، ولكن
ان يصبح الامر حواراً او حديثاً او بسطاً لمحاكمة عقلية، فانه
يبطل ان يكون اقصيص فنية.

بقيت هناك بعض القصص التي لا تخلو من حبكة، ولكنها
في النهاية لا تعني شيئاً.. فأقصيص «كرمة الجن» فيها حكاية
طريفة تسلي، وهذا كل ما تستطيع ان تفعله. انها حكاية شاعر
يحب العزلة ويشغل الارض، فيستهوي غناؤه افعى تتاييل
كالسكران، وتساهره ليلة بطولها يضطر بعدها الى ان
ينام النهار. ولقد اقلق القرويين ذلك النهار انه لم يخرج،
فدخل عليه احدهم، فاذا الافعى تهاجمه وتلتف حول جسده،
ويترا كض القرويون على صوت استغاثته وتنشب بينهم وبين
الافعى معركة لا تنتهي الا باستيقاظ الشاعر الذي يأخذ في
الانشاد، فتسكن الافعى وتتراخي عن جسم فريستها الذي
ينسحب، ثم يجهز عليها فيقتلها. ومنذ ذلك اليوم لم يعد الشاعر
الى القرية ابداً.

إذا عاد المساء ..

قصة جديدة بقلم محمد هاشم

المادىء . كان الصبي يتمنى لو تكلمه امه وتطيل التحدث اليه ، لو تقص عليه بعض القصص كما كانت تفعل من قبل ؛ لكنها بدت في هذه الليلة جامدة لا تنطق بكلمة ولا تفكر في الصبي أبداً بل في أشياء اخرى . وإلا لم لا تكلمه عن العفاريث ؟ أو على الأقل تخبره إلى أي محل يسيران ؟! وتذكر ليلة أمس التي قضياها قرب الجامع القديم ، وقد افترشا الرصيف العام . كان الصبي في أول الليل فرحاً وقد نام عن كئيب من أمه لا يأتي بآية حركة ، لكن ما إن قرب الفجر حتى أصبح الجو قارساً لا يحتمل ، فسرت في جسده رعدة باردة ، وودّ لو يتغطى بشيء دافئ ، لحاف مثلاً ، أو بطانية صوف سوداء ، أو حتى حائط الجامع هذا ، فدرس جسمه الصغير بين يدي امه التي استيقظت في الحال فزعة وزعقت بوجهه ثم استوت قائمة .

لمح الصبي الجامع القديم ، فهمس في نفسه « لا بد أننا سنقف هنا كالبارحة » لكن الام لم تتوقف وإنما سارت إلى الامام تسحبه بيدها الغليظة . ونفذ صبر الصبي فقال بصوت متقطع :
— هذا .. الجامع .. ماما ..

— لكم هو طويل هذا الشارع يا اماه !
فأجابت الام على الفور بلهجة جافة قاطعة :
— سنصل ..

عند ذلك رفع الصبي رأسه الصغير وحدق في وجه امه مستفسراً وهو يلهث من التعب إذ كان يتابع خطوات امه الكبيرة بخطواته الصغيرة السريعة فيبدو كالراكض . ولم يستطع حبس الكلمات التي تجمعت في رأسه ، فقال بصوت مرتجف كمن يتوقع شراً مستطيرواً :
— أين ؟

التفتت اليه امه وزمت شفتيها بقوة ، ورأى الصبي عينيها تلمعان ودموعاً تترقرق فيها . فنظر إليها منتظراً الجواب ، لكنها لم تحر جواباً ، وإنما عادت تنظر إلى الامام في الدرب الطويل ، وشعر الصبي بقبضة امه الكبيرة تشد على يده بقوة اكثر من ذي قبل ، وها هي تزداد قوة حتى أخذ يشعر بخدر يسري في كفه الصغيرة ، فود لو ينبه أمه إلى ذلك لكنه خاف من عينيها الدامعتين فصمت . وتابع السير في ذلك الشارع

حادثة أو سياق أو قرينة ، وإنما تسمع في الحوار . وهكذا يبدو للقاريء جلياً ان المجموعة تتألف من افاصيص سطحية تافهة ذات حبكة هزيلة . وهي كما قلنا ربما كانت تسلي ولكنها لا تعلم شيئاً ولا تثير شعوراً إنسانياً ولا تهز إحساساً فنياً . إنها ترود السطح ولا تسبر الغور . وإذا صورت جانباً من واقع ، كانت وثيقة باردة لا تستشرف المستقبل وليس فيها اي نزوع خلاق . ونحسب ان المؤلف لا يكتب عن « ضرورة » أو عن « حاجة » لا بد له أن يستجيب لها ، وإنما يكتب عن رغبة في التسلية ليس غير ؛ وهذا هو الشعور الذي يبعثه لدى القاريء وقد شعرنا بمثله في « خطيئة الشيخ » و « الحاج مجبوح » .

بقيت لغة المؤلف ، وهي دون ريب لغة جميلة سلسلة صافية . ولكن ما عساها تكون قيمة وسيلة التعبير في أثر لا قيمة فنية له ؟
سهيل ادريس

ولئن كان في اقصوصة « اديب » حكاية ، فهي فارغة من اي محتوى فكري : حكاية اديب اعمى مشهور اتخذ احد الملوك مستشاراً له ؛ ولكن زوجة الملك كانت تتردد عليه لتراقبه في عمله مما جعل اللسنة تنالها بالسوء . وشاء الملك ان ينتقم منها فأمر بان « تعير امرأته المتهمة احدى عينيها للأعمى الذي شك في إخلاصه ، فسلبها بذلك ضياء الجمال ، وأفقدته نور العقل ، وكتب اسمه في لوحة الخالدين من الظالمين ! » . وليس ل « عودة الغائبة » فكرة واضحة ، وأما « زارع الاكي دنيا » فحكاية تاريخية للأطفال .

وهذه الأفاصيص جميعاً لا تمثل ، بعد ذلك ، أية قيمة فنية ؛ فهي لا تخلق مثلاً اي « جو نفسي » خاص ، ولا تحلل أية شخصية هامة ، ولا تصور نماذج بشرية متميزة ؛ وبما يزيد في إضعافها فنياً ارتفاع لهجة العظة والدرس ، هذه اللهجة التي لا تستنتج من